

— ٧٥ —

منه عليه السلام في أحاديثه حتى قال في بعض تلك الأحاديث : « لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستبعد ولا تستخدم .. » وتجاوز الشفاق على الأرقاء من سوء المعاملة إلى الشفاق عليهم من الكلمة الجارحة فكان عليه السلام يقول : « لا يقل أحدكم عبدي أمتي . وليقل فتاى وفتاى وغلامى » أما ضرب الرقيق بغير تأديب فهو ذنب كفارته العتق ، أو كما قال عليه السلام « من لطم مملوكه فكفارته عتقه » فإذا قتله فهو يقتل به في قول أشهر الفقهاء .

* * *

إن الباحثين الاجتماعيين من الأوروبيين أنفسهم قد عللوا حركة التحرير — تحرير الأرقاء — بعلل كثيرة من ضرورات « الاقتصاد » .. فذكروا أن المطالبين بتحرير الرقيق لم يفعلوا ذلك إلا احتيالا على الكسب ومنعا للمنافسة التجارية التي تيسر لأصحاب العبيد ومسخريهم في الصناعات أرباحا لا تيسر لمن يستأجروا الأحرار ويبدلون لهم ما يرتضونه من الأجور . ولم تزل معاملة السود في أمريكا الشمالية — بعد تحريرهم من الرق — أسوأ معاملة يسأمها بنو آدم في هذا الزمان . وذلك بعد أن دان المسلمون أربعة عشر قرنا بشريعة المساواة بين الأجناس وعلموا أن فضل العربي القرشي على العبد الحبشي إنما هو فضل التقوى والصلاح دون فضل العصبية واللون .

ولم يأخذ الإسلام أتباعه بهذا الكرم المحض مجازاة لضرورات الاقتصاد بل أخذهم به على الرغم من تلك الضرورات وعلى الرغم من شح الأنفس بالأموال وما تملك الأيمان . وتلك هي مزية الإسلام الكبرى في السبق إلى هذا الأدب الرفيع .